الباب السادس

نعيم الجنة

١ ـ صفة الجنة

يقول الله سبحانه : (ياأيتهـــا النفس المطمئنه ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) .

في روحانية وتكريم ، وفي ثناء وتطمين ، ارجعي الى مصدرك بعد غربة الأرض وفرقة المهد . ارجعي الى ربك بمـــا بينك وبينه من صلة ومعرفة ونسبة .. راضية مرضية ، بهذه النداوة التي تفيض بالتعاطف والرضى فادخلي في عبادي المقربين المختارين لينالوا هذه القربى وادخلي جنتي في كنفي ورحمتي،إنها عطفة تنسم فيها أرواح الجنة .. إلى هذه النفس المطمئنة .المطمئنة إلى ربها ، المطمئنة الى طريقها ، المطمئنة إلى قدر الله بهـــا ، المطمئنة فلا ترتاب ، والمطمئنة فلا تنحرف ، والمطمئنة فلا تتلجلج في الطريق ، والمطمئنة فلا ترتاع في يوم الهول الرعيب .

ألا إنها الجنة بأنفاسها الرضية الندية تتجلى عليها طلعة الرحمن الجليلة البهية .

وقد فصّل الله متاع الجنة التي أُعدت للمؤمنين ، ووراءهـا متاع يعرفونها هناك يوم يتهيأون لإدراكها مما لاعيْن رأت ولا أُذن سمعت ولا خَطَر على قلب بشر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : « أعددتُ لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت ولا خَطر على قلب بشر ، واقرؤوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين[1]) .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهدتُ من رسول الله ﷺ مجلساً وَصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال في آخر حديثه : « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ثم قرأ هاتين الآيتين : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون[2]) .

وعن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال : « لو أن مايُقِلّ ظُفُرٌ مما في الجنة بَدا لتزخرف له مابين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطّلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس ، كما تطمس الشمس ضوء النجوم[3] » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لقابُ قوسٍ في الجنة خيرٌ مما طلعت عليه الشمس أو تغرب[4] » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قيد سوط أحدكم في في الجنة خيرٌ من الدنيا ومثلها معها ، ولقابُ قوسِ أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا ومثلها معها ، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها » قلت : ياأبا هريرة

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه بن حبان في صحيحه .

(٤) رواه ابن ابي الدنيا ، والترمذي وقال : حديث حسن غريب .

ما النصيف ؟ قال : الخمار[1] » . .

وفي رواية الطبراني في الأوسط مختصراً باسناد رواته رواة الصحيح ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ « لموضع سوط في الجنة خير مما بين السماء والأرض » .

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « أن موسى عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعد مادخل أهل الجنة الجنة، فيقال له : ادخل الجنة فيقول : ربِّ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مَلِك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت ربِّ ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت ربِّ ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك ، فيقول : رضيتُ رب. قال : ربِّ فأعلاهم منزلة ، قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي ، وختمتُ عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر[2] » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يارسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « وهل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » ؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال : « هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب » قالوا : لا ، قال : « فانكم ترونه كذلك ، يحشر الناس يوم القيامة ، فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فمنهم من يتبع الشمس ، ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيدعوهم ، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ : اللهم سَلِّم سلم

---

(١) رواه احمد باسناد جيد ، ورواه البخاري بلفظ آخر .

(٢) اخرجه مسلم .

وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم ، قال: فانها مثل شوك السعدان ، غير أنه لايعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق (يهلك) بعمله ، ومنهم من يخردل ، ثم ينجو ، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يُخرجوا من كان يعبد الله ، فيخرجونهم بآثار السجود ، وحَرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتحشوا[1]، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل بين الجنة والنار ، وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة مقبلٌ بوجهه قِبل النار ، فيقول : يارب اصرف وجهي عن النار قد قشبني[2] ريحها ، وأحرقني ذكاها[3] فيقول: هل عسيتَ إن أفعل أن تسأل غير ذلك ؟ فيقول : لا وعزتك ، فيعطي اللهَ ماشاء من عهد وميثاق ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فاذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ماشاء الله أن يسكت ، ثم قال : يارب قدّمني عند باب الجنة ، فيقول الله : أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لاتسأل غير الذي كنت سألت ؟ فيقول : يارب لا أكون أشقى خلقك . فيقول : فما عسيتَ إن اعطيتك ذلك أن تسأل غيره ، فيقول : لا وعزتك لا أسألك غير هذا ، فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق ، فيقدمه الى باب الجنة ، فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور ، فسكت ماشاء الله أن يسكت ،فيقول : يارب أدخلني الجنة ، فيقول الله : ويحك ياابن آدم ما أغدرك ! أليس قد أعطيتني العهود أن لا تسأل غير الذي أُعطيت ؟ فيقول : يارب لاتجعلني أشقى خلقك ، فيضحك الله منه ، ثم يأذن له في دخول الجنة ، فيقول : تمنّ ، فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته ، قال الله : تمنّ من كذا و كذا ،يُذكره ربه ،حتى اذا انتهت به الأماني قال الله لك ذلك ومثله معه[4]».

---

(١) امتحش : احترق .

(٢) قشبني ريحها : أي آذاني .

(٣) ذكاها : اشعالها ولهبها .

(٤) رواه البخاري .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة رجلٌ صرف الله وجهه عن النار قِبلَ الجنة ، ومَثَّل له شجرة ذات ظل ، فقال : أي ربِّ قربني من هذه الشجرة أكون في ظلها » فذكر الحديث في دخوله الجنة وتمنيه . إلى أن قال في آخره « إذا انقطعت به الأماني قال الله :هو لك وعشرة أمثاله. قال : ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين . فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا ، وأحيانا لك . قال : فيقول : ما أعطي أحد مثل ما أُعطيت [1]».

وعن أبي هريرةرضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أدنى مَقْعد أحدكم من الجنة ، من يقول له : تَمَنَّ فَيتمنَّى ، ويَتمنَّى ، فيقول له : هل تمنيت ؟ فيقول :نعم فيقول له : فان لك ما تمنيت ومثله معه[2]» .

إنها الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين ، جنة وحريرا، جنة يسكنونها وحريراً يلبسونه . (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمساً ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها ، وذُلِّلت قطوفها تذليلا) .

فهم في جلسة مريحة مطمئنة . والجو حولهم رخاء ناعم دافيء في غير حَرٍّ ندي في غير برد . فلا شمس تلهب النسائم ، ولا زمهرير وهو البرد القارس ! ولنا أن نقول إنه عالم آخر ليست فيه شمسنا هذه ولا شموس أخرى من نظائرها . وكفى !

وهناك الظلال الدانية. واذا دنت الظلال ودنت القطوف فهي الراحة والاسترواح على أمتع مايمتد إليه الخيال . (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا) .فهم مستقرون مستروحون ناعمون في الظلال .

إنها صورة الجزاء الرفيع الخالص الفريد . الجزاء الذي تتجلى فيه ظلال الرعاية

---

(١) رواه البخاري .

(٢) اخرجه مسلم .

الخاصة ، والاعزاز الذاتي ، والاكرام الالهي والحفاوة الربانية بهذه النفوس (فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) . تعبير عجيب يشي بحفاوة الله سبحانه وتوليه بذاته العلية إعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة مما تُقر به العيون . هذا المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه . والذي يظل عنده خاصة مستوراً حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه ! عند لقياه ! وانها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله .

يا الله ! كم ذا يفيض الله على عباده من كرمه ! وكم ذا يغمرهم سبحانه بفضله ! ومن هم حتى يتولى الله جلّ جلاله إعداد ما يدخره لهم من جزاء ، في عناية ورعاية وودّ واحتفال ؟ لولا أنه فضل الله الكريم المنان ؟ فضل الله الكريم حتى يفتح أبواب رحمته الواسعة ، أبواب الجنان :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ليدخلنّ الجنة من أمتي سبعون ألفاً ـ أو سبعمائة ألف ـ متماسكون آخذُ بعضهم ببعض ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر [1]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجَر ، أو هجَر ومكة [2]) .

عن خالد بن عُمير قال : خطبنا عتبة بن غزوان رضي الله عنه فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد : فان الدنيا قد آذنت بصرُم [3] ، وولت حذّاء [4] ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء يصطبها صاحبها ، وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، ولقد ذُكِر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما

(١، ٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) قطيعة .

(٤) حذاء : سرعة .

مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم كظيظ من الزحام [1]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون ، ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة [2] ، أزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء [3]) .

وفي رواية قال رسول الله ﷺ (أول زمرة تلجُ الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر . لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الالوة ، ورشحهم المسك ، لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقها من وراء اللحم من الحُسن ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم قلب رجل واحد ، يُسبحون الله بكرة وعشيا) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (يدخل أهل الجنة الجنة جُرداً [4] مُرداً [5] مكحلين [6] بني ثلاث وثلاثين [7]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ (أهل الجنة جُرد ، مُرد ، كحل ، لا يفنى شبابهم ، ولا تبلى ثيابهم [8]) .

---

(١) رواه مسلم هكذا موقوفا .

(٢) الالوة : من أسماء العود الذي يتبخر به .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) الجرد : جمع أجرد وهو من لا شعر على جسده .

(٥) المرد : جمع أمرد : وهو من لا شعر في وجهه .

(٦) الكحل : جمع أكحل : وهو الذي اسودت عينه كأنما فيها الكحل .

(٧) رواه الترمذي وقال حسن غريب ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٨) أخرجه الترمذي وهو حديث حسن بشواهده .

وعن المقدام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (مامن أحد يموت سقطاً ولا هرماً وإنما الناس فيما بين ذلك ، إلا بُعث ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فان كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم ، وصورة يوسف ، وقلب أيوب ، ومن كان من أهل النار عظموا وفخموا كالجبال[1]) .

درجات الجنة :

قال الله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة . وكلًا وعدَ الله الحسنى . وفضّل الله المجاهدين على القـــاعدين أجراً عظيما درجات منه ومغفرة وكان الله غفوراً رحيما) .

وقال تبارك وتعالى : (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) .

وقال سبحانه : (إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجِلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر[2] في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم) قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصَدّقوا المرسلين[3]) .

---

(١) رواه البيهقي باسناد حسن .

(٢) الغابر : هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب ، وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلا فائدتان : احداهما بعده من العيون ، والثانية : ان الجنة درجات بعضها أعلا من بعض.

(٣) رواه البخاري ومسلم .

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ (إن في الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :(إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله بين الدرجتين كما بين السماء والأرض[1]) .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (في الجنة مائة درجة مابين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، منها تُفجَّر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس)[2]

وأما أعلا درجة في الجنة فهي الوسيلة وهي درجة النبي ﷺ ، وسُميت الوسيلة لأنها أقرب الدرجات الى عرش الرحمن . وهي أقرب الدرجات الى الله . وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فصيلة من وَسَل اليه إذا تقرب إليه .

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عليّ فانه من صَلَّى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ثم سَلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه شفاعتي [3]) .

وقال أحمد أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (إذا صليتم فسلوا الله لي الوسيلة ، قيل : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال : أعلا درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو) .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من قال حين يسمع النداء : « اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة

---

(١) رواه البخاري .

(٢) أخرجه الترمذي وهو حديث صحيح .

(٣) رواه مسلم .

الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة [1]) .

« ومعنى الوسيلة من الوصلة ، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نوراً . وقد كشف الله سبحانه عن هـذا المعنى كل الكشف بقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) فقوله (أيهم أقرب) هو تفسير للوسيلة . ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به ، وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة ، كانت منزلته أقرب المنازل الى الله وهي أعلا درجة في الجنة ، وأمر النبي ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الايمان [2] » .

٢ ــ طعام أهل الجنة

يقول الله سبحانه : (إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) وقال سبحانه : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) وقال عز وجل : (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وقال تبارك أسماؤه : (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) وقال تعالى : (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) وقال تعالى : (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) كل شيء هنا معد للتناول بلا كدّ ولا مشقة ، نعيم فيه ما تشتهيه النفس وتلذ العين ، فهنا لاشيء ممنوع . ولاشيء على غير ما يشتهي السعداء الخالدون (ولحم طير مما يشتهون) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) هادي الأرواح ص ٧٢ .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن طير الجنة كأمثال البُخت ، ترعى في شجر الجنة)فقال أبو بكر : يارسول الله إن هذه لطيرٌ ناعمة ، فقال (أكلتُها أنعم منها ، قالها ثلاثاً ، وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها) .

وفي رواية الترمذي ، ولفظه : قال: سُئِل النبي ﷺ:ما الكوثر ؟ قال : (ذاك نهر أعطانيه الله – يعني في الجنة – أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجُزر) .-(الجزر: جمع جزور،وهوالبعير،والبُخت هي الابل الخراسانية)-

قال عمر : ان هذه لناعمة ، فقال رسول الله ﷺ (أكلتها أنعم منها[1])

وعن جابر رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ(يأكل أهل الجنة ويشربون، ولا يتخطون،ولا يتغوطون ، ولا يبولون ، طعامهم جُشاء كريح المسك،يُلهمون[2] التسبيح والتكبير كما يلهمون النَّفَس[3]) .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهـــل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : (نعم ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع). قال : فان الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، وليس في الجنة أذى ، قال : (تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك ، فيضمر بطنه[4])

٣ ــ شراب اهل الجنة

وبينما أهل النار في النار يُشوون ويشربون زيت الدردي أو القيح. إذ الذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات عدن للاقامـــة تجري من تحتهم الأنهار بالري وبهجة المنظر واعتدال النسيم ..

---

(١) رواه احمد باسناد جيد والترمذي وقال حديث حسن .

(٢) يعني ان التسبيح والتكبير والتحميد من الاعمال غير الارادية ، فهم لا يتكلفونها ، لان الجنة ليست دار تكليف وانما هي دار ثواب .

(٣) رواه مسلم وابو داود .

(٤) رواه أحمد والنسائي ورواته محتج بهم في الصحيح .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (الكوثر نهر في الجنة : حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج [1]) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (بينا أنا أسير في الجنة ، إذ أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقلت : ما هـذا يا جبريل ؟ قال هـذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، قال : فضرب الملَكُ بيده ، فاذا طينه مسكٌ أذفر [2]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أنهار الجنة تخرج من تحت تلال ــ أو من تحت جبال المسك [3]) .

وعن معاوية وهو جدّ بهز بن حكيم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن في الجنة بحر العسل وبحر الخمر وبحر الماء ، ثم تنشق الأنهار بعد [4]) .

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (رُفعت لي السدرة ، فاذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فأما الظاهران: فالنيل والفرات ، وأما الباطنان : فنهران في الجنة ، وأُتيتُ بثلاثة أقداح : قدح فيه لبن ، وقدح فيه عسل ، وقدح فيـــه خمر ، فأخذتُ الذي فيه اللبن ، فقيل لي : أصبتَ الفطرة [5]) .

إن أهل الجنة ينعمون بكل معاني النعيم واللذة وإذا شربوا فماذا يشربون : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا. عيناً يشرب بها عباد الله يُفجّرونها تفجيرا) (ويُسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا . عيناً فيها تُسمى سلسبيلا) .

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح .
(٢) مسك أذفر : اذا كان طيب الريح ، والحديث رواه البخاري .
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه .
(٤) اخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٥) اخرجه البخاري

وهذه العبارة تفيد أن شراب الأبرار في الجنة ممزوج بالكافور ، ويشربون في كأس تغترف من عين تفجر لهم تفجيرا ، في كثرة ووفرة .

وهم في ذلك النعيم يُطاف عليهم بأشربة في آنية من فضة ، وفي أكواب من فضة ، ولكنها شفة القوارير (ويُطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا. قواريرا من فضة قدَّروها تقديرا) .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (جنتان من فضة ، آنيتها وما فيها ، وجنتان من ذهب ، آنيتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن[1]) .

كله مما لم تعهده الأرض ، وهذه الآنية بأحجام مقدرة تقديراً يحقق المتاع والجمال، ثم هي تُمزج بالزنجبيل كما مزجت مرة بالكافور (ومزاجها زنجبيلا) . وهي كذلك تملأ من عين جارية تسمى سلسبيلا (عيناً فيها تسمى سلسبيلا) ، لشدة عذوبتها واستساغتها لدى الشاربين . هؤلاء المتقون في ظلال ، وفي عيون من ماء .. (إن المتقين في ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون) وهم يتلقون فوق هذا النعيم الحسي التكريم العلوي على مرأى ومسمع من الجموع (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) .

وهذا الماء الذي يشربونه هو كالينبوع المتدفق (فيها عين جارية) وهو يجمع الى الري الجمال . جمال الحركة والتدفق والجريان . والماء الجاري يجاوب الحس بالحيوية وبالروح التي تنتفض وتنبض ! وهو متعة للنظر والنفس من هذا الجانب الخفي ، الذي يتسرب إلى أعماق الحس . إنهم في موضع التكريم ، ينظرون حيث يشاءون ، لا يغضون من مهانة ، ولا يشغلون عن النظر من مشقة ، وهم على الأرائك . وهم في هذا النعيم ناعمو النفوس والأجسام ، تفيض النضرة على وجوههم وملامحهم حتى ليراها كل

---

(١) اخرجه البخاري ومسلم .

راء : (تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختـــامه مسك) والرحيق الشراب الخالص المصفى ، الذي لا غش فيه ولا كدرة (ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون) ، فهم في نعيم مضاعف يجمع كل مظاهر النعيم ، نعيم تستمتع به النفس ويستمتع به الحس . وتجد فيه كل نفس ما تشتهيه من ألوان النعيم : (أولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون . في جنات النعيم . على سرر متقابلين . يطاف عليهم بكأس من معين . بيضاء لذة للشاربين . لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) .

إنهم في أعلى مراتب التكريم . فهم مُخدَمون فلا يتكلفون شيئاً من الجهد في دار الراحة والرضوان والنعيم ، وزيادة في المتـــاع فان الذين يطوفون بهذه الأواني والأكواب بالشراب هم غلمان صباح الوجوه ، لا يفعل فيهم الزمن ، ولا تدركهم السنّ ؛ فهم مُخلَّدون في سن الصباحة والصبا والوضاءة . وهم هنـــا كاللؤلؤ المنثور (ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) . يطوفون عليهم بأكواب وأباريق وكأس من معين من خمر صافية سائغة . فلا هم يفرقون عنها ولا هي تنفذ من بين أيديهم . فكل شيء هنا للدوام .

تلك أجمل أوصاف الشراب التي تحقق لذة الشراب ، وتنفي عقابيله ، فلا خمار يصرع الرؤوس ، ولا منع ولا انقطاع يذهب بلذة المتاع ، فهم في متاعهم متكئين على الأرائك بين الظلال الوارفة والقطوف الدانية والجو الرائق (ودانيـة عليهم ظلالها وذُلِّلت قطوفها تذليلا) فهم في ظل ظليل ناعم هادىء .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن في الجنـة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، إن شئتم فاقرؤا (وظل ممدود وماء مسكوب[1]) .

---

(١) رواه البخاري والترمذي .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمّر السريع مائة عام لا يقطعها) وزاد الترمذي : (وذلك الظل الممدود[1]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ: يقول الله :(أعددتُ لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطَر على قلب بشر) اقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيـــا وما فيها ، واقرؤا إن شئتم (فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز) .

فهم في نعيم والى نعيم فهم في جنات خضراء ، والعيون تنضّ بالمـــاء : (ومن دونها جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . مدهامتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيهما عينان نضاختان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيها فاكهة ونخل ورمان) . وننظر إلى أهل الجنتين متكئين على الأبسط وكأنها من صنع عبقر ، وقد كانوا ينسبون كل عجيب الى وادي الجن عبقر (متكئين على رَفْرف خُضر وعبقري حسان) .

والسابقون المقربون : (والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنـات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سُرر موضونة متكئين عليها متقابلين) ، سرر مشبكة بالمعادن الثمينة متكئين عليها في راحـة وخلو بال من الهموم والمشاغل ، وفي طمأنينة على ما هم فيه من نعيم ، لا خوف من فوته ولا نفاذه وفي اقبـال بعضهم على بعض يتسامرون .

إنها الجنة في نعيمها ، فيها السرر المرتفعة التي توحي بالنظافة كما توحي بالطهارة ، والأكواب مصفوفة مهيأة للشراب لا تحتاج الى طلب ولا إعداد . والوسائد والحشايا للاتكاء في ارتياح ، والبسط والسجاجيد مبثوثة هنا وهناك للزينة وللراحة سواء (فيها

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وزاد : (وذلك الظل الممدود) .

سررٌ مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفةوزرابيّ مبثوثة) .

وكلها مناعم مما يشهد الناس له أشباهاً في الأرض . وتذكر هذه الأشياء لتقريبها الى مدارك أهل الأرض . أما طبيعتها وطبيعة المتاع بها فهي موكولة الى المذاق هناك . للسعداء الذين يقسم الله لهم هذا المذاق .

وهناك لا فضول في الحديث في الجنة ولا ضجة ولا جدال ، إنمـــا يسمع فيها صوت واحد يناسب هذا الجو الراضي صوت السلام (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب . إنه كان وعده مأتيا . لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا . تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيـــا) الجو سكون وهدوء يغمره السلام والاطمئنان والود والرضى والنجـــاء والسمر بين الأحباء والأدواء ، والتنزه والارتفاع عن كل كلمة لاغية ، لا خير فيها ولا عافية ، هنـاك في الجنة العالية (في جنة عالية) ، عالية في ذاتهـــا رفيعة مجيدة . ثم هي عالية الدرجات . وعالية المقامات . إنه جو السعادة والتنزه عن كل كلمة لاغية . وهذه وحدهـا نعيم . وهذه وحدها سعادة . سعادة تتبين حين يستحضر الحس هذه الحياة الدنيا ، وما فيها من لغو وجدل وصراع وزحام ولجاج وخصام وقرقعة وفرقعـة . وضجـة وصخب ، وهرج ومرج . ثم يستسلم بعد ذلك لتصور الهدوء الآمن والسلام الساكن والود الرضي والظل الندي في العبارة الموحية (لا تسمع فيها لاغية) وألفاظها تنسم الروح والندى وتنزلق في نعومة ويسر ، وتوحي هذه اللمسة بأن حياة المؤمنين في الأرض وهم ينأون عن الجدل واللغو هي طرف من حياة الجنة . يتهيأون بها لذلك النعيم الكريم . يوم يحيون في هـــدوء وسكون ، وفي ترفع وتنزيه عن كل لغو في الحديث ، وكل جدل وكل مؤاخذة (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاما) .

حياتهم كلها سلام . يرف عليها السلام . ويشيع فيها السلام . تسلم عليهم الملائكة

في ذلك الجو الناعم الآمن ؛ ويُسلم بعضهم على بعض . ويبلغهم السلام من الرحمان . فالجو كله سلام سلام .

فهي حياة مصونة من اللغو ومن التكذيب الذي يصاحبه الجدل ، فهي حالة من الرفعة والمتعة تليق بدار الخلود (لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً) والرزق في هذه الجنة مكفول لا يحتاج الى طلب ولا كد . ولا يشغل النفس بالقلق والخوف من التخلف أو النفاد . فما يليق الطلب ولا القلق في هذا الجو الراضي الناعم الأمين . فمن شاء وراثة الجنة فالطريق معروف : التوبة والايمان والعمل الصالح .

إن هذه الصور الحسية والمعنوية من النعيم والعذاب ترد في مواضع شتى من القرآن . والله الذي خلق البشر ، أعلم بمن خلق ، وأعرف بما يؤثر في قلوبهم ، ومايصلح لنعيمهم ولعذابهم .

والنفوس ألوان ، والطبائع شتى . تلتقي كلها في فطرة الانسان ، ومن ثم فصّل الله ألوان النعيم والعذاب ، وصنوف المتاع والآلام ، وفق علمه المطلق بالعباد . وأي فوز عظيم من يفوز بالنجاة يوم الهلاك ويستمتع بالمقام الأمين (إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون . يلبسون من سندس واستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور عين . يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموتَ إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم . فضلاً من ربك . ذلك هو الفوز العظيم) .

فاذا المتقين الذين كانوا يخشون هذا اليوم ويخافون . إذا هم في مقام أمين ، لا خوف فيه ولا فزع ، ولا شد فيه ولا جذب ، ولا عتل ولا وصب ! بل هم منعمون رافلون في جنات وعيون يلبسون من سندس – وهو الحرير الرقيق – ومن استبرق – وهو الحرير السميك – ويجلسون متقابلين في مجالسهم يسمرون ، فهم في سمر والى سمر . من نعيم الى نعيم .

عن عبد الرحمن بن ساعدة رضي الله عنه قال : كنت أحبُّ الخيل ، فقلت :

يا رسول الله ، هل في الجنة خيل ؟ فقال : (إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت وله جناحان يطير بك حيث شئت[1]) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال ، فتحثو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فتقول لهم أهلوهم ، والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً[2]) .

إنه النعيم من عطاء الله الكريم . وهم في الجنة أصحاب الدار ، يطلبون ما يشاءون ويدعون فيها بكل فاكهة آمنين ، لا يتوقعون نهاية لهذا النعيم ، فلا موت هنالك وقد ذاقوا الموتة الأولى ، وغيرها لا يذوقون . وفضل الله عليهم أن وقاهم من عذاب الجحيم . فالنجاة من العذاب لا تكون إلا بفضله ورحمته ، وأي فوز عظيم . . . فلا موت . . بل نعيم مقيم .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (إذا صار أهل الجنة الى الجنة ، وأهل النار الى النار ، جيء بالموت ، حتى يجعل بين الجنة والنار ، فيذبح ، ثم ينادي منادٍ : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً الى فرحهم وأهل النار حزناً الى حزنهم[3]) .

٤ – نساء اهل الجنة

يقول الله سبحانه : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به

---

(١) رواه الطبراني ورواته ثقات .

(٢) رواه مسلم .

(٣) اخرجه البخاري ومسلم .

متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة [1] وهم فيها خالدون) .

يقول ابن قيم الجوزية : (وجمع سبحانه في هذه البشارة نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه) .

والمؤمنون هناك في الجنة رافلون في ألوان من المتاع والحرير ، (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار ، يُحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ، متكئين فيها على الأرائك . نعم الثواب وحسنت مرتفقا) ، والمؤمنون هناك للارتفاق حقاً رافلون في ألوان الحرير (هم وأزواجهم) من سندس ناعم خفيف ومن استبرق مخمل كثيف تزيد عليها أساور من ذهب للزينة والمتاع ، متاع لا يخطر على قلب بشر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (من يدخل الجنة ينعّم ، ولا يبأس ، ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، في الجنة مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر [2]) .

وعن عبد الله – يعني ابن مسعود – رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء ، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين ، على كل زوجة سبعون حلّة ، يُرى مُخ سوقها من وراء لحومها وحللها كما يُرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء [3]) .

---

(١) المطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الطبراني باسناد صحيح والبيهقي باسناد حسن .

ومن شاء فليختر . ومن شاء فليؤمن ومن شـــاء فليكفر ، هـذا هو فضل الله الكريم المنان (ولمن خاف مقام ربه جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيهما عينان تجريان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيهما من كل فاكهة زوجان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان . فبأي آلاء ربكما تكذبان ، فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . هل جـزاء الاحسان إلا الاحسان . فبـأي آلاء ربكما تكذبان . ومن دونهما جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان) .

فلنشهد الجنتين الأوليين ولنعش فيهما لحظات : انهما ذواتا أفنان ، والأفنان الأغصان الصغيرة الندية فهما ريانتان. وماؤهما غزير ، وسهل يسير ، وفاكهتهما كثيرة وفيرة . وأهل الجنتين ما حالهم : متكئين على المخمل الحرير السميك . فكيف وهـذه بطائن الفرش ، كيف بظاهرها إذا كانت تلك بطائنها ، وكل شيء قريب التنـــاول لا يتعب فيها قطاف ، كلها السعادة والراحة والاطمئنان والجمال .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله حدّثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : (لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ،وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعّم ، ولا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه [1]) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة طولها في السماء ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً [2]) .

---

(١) رواه أحمد والترمذي والبزار والطبراني في الاوسط ، وابن حبان في صحيحه .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

ولكن هذا لا يستقصي ما في الجنة من رفاهة ومتاع فهناك بقية بهيجة لهذا المتاع (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) ، فهنّ عفيفات الشعور والنظر لا تمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن ، مصونات لم يمسسهن إنس ولا جان ، وهنّ بعد هذا ناضرات لامعات (كأنهنّ الياقوت والمرجان) وقد وصفهم الله سبحانه كذلك (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) واللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يتعرض للمّس والنظر ، فلم تثقبه يد ولم تخدشه عين ! وفي هذا كناية عن معان حسية ونفسية لطيفة في هؤلاء الحور الواسعات العيون . فمن متاع الى متاع لا ينتهي .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقابُ [1] قوس أحدكم أو موضع قيده – يعني سوطه – من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطّلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ، ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها [2] على رأسها خير من الدنيا وما فيها [3]) .

وقال رسول الله ﷺ (غدوة في سبيل الله أو موضع قدم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة اطلعت على الأرض من نساء أهل الجنة لأضاءت ما بينها ولملأت ما بينها ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها [4]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء ، ولكل منها زوجتان اثنتان يُرى مخّ سوقها من وراء اللحم ، ومافي الجنة أعزب [5]) .

---

(١) القاب : المقدار .

(٢) النصيف : الخمار .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا و كذا في الجماع) ، قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال : (يعطى قوة مائة[1]) .

ألا إنها الجنة (إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا و كواعب أترابا و كأساً دهاقا) ، إن المتقين ينتهون الى مفازة ومنجاة تتمثل حدائق وأعناب ، و كواعب وهنّ الفتيات الناهدات ، اللواتي استدارت ثديهن . أتراباً متوافيات السن والجمال . و كأساً دهاقاً مترعة بالشراب (وعندهم قاصرات الطرف عين . كأنهن بيض مكنون) ، وعندهم حور لا تمتد أبصارهن الى غير أصحابهن حياء وعفة ، مع أنهن واسعات جميلات العيون ! وهنّ كذلك مصونات معرقة ولطف ونعومة لا تبتذله الأيدي ولا العيون .

وذلك كله جزاء من خاف مقام ربه ، وعبّده كأنه يراه ، شاعراً أنّ ربه يراه ، فبلغ بذلك مرتبة الاحسان كما وصفها رسول الله ﷺ فنالوا جزاء الاحسان من عطاء الرحمان .

٥ – أصحاب الجنة

يقول الله سبحانه : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون . هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون) .

ويقول سبحانه : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات – لا نكلف نفساً إلا وسعها – أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . ونزعنا ما في صدورهم من غلّ تجري من تحتهم الأنهار ، وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . لقد جاءت رسل ربنا بالحق . ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) .

هؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات قدر استطاعتهم ، لا يكلفون إلا طاقتهم .

---

(١) أخرجه الترمذي واسناده حسن ، ورواه الدارمي باسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم .

هؤلاء هم يعودون الى جنتهم ! إنهم أصحابها – بإذن الله وفضله – ورّثها لهم – برحمته ، بعملهم الصالح مع الايمان ، جزاء ما اتبعوا رسل الله وعصوا الشيطان . وجزاء ما أطاعوا أمر الله العظيم الرحيم ، وعصوا وسوسة العدو اللئيم القديم ! ولولا رحمة الله ما كفى عملهم – في حدود طاقتهم – وقد قال رسول الله ﷺ (لن يُدخل أحداً منكم الجنة عملهُ) قالوا : ولا أنت يا رسول الله . قال : (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل[1]) .

إن أصحاب الجنة هم الذين أحسنوا . أحسنوا الاعتقـــاد ، وأحسنوا العمل ، وأحسنوا معرفة الصراط المستقيم ، فأما هؤلاء فلهم الحسنى جزاء ما أحسنوا ، وعليها زيادة من فضل الله غير محدودة : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . وهم ناجون من كربات يوم الحشر ، ومن أهوال الموقف قبل أن يفصل في أمر الخلق ، فلا يغشى وجوههم قتر ولا تكسو ملامحهم الذلة (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) . والتعبير يوحي بأن في الموقف من الزحام والهول والكرب والخوف والمهانة ما يخلع آثاره على الوجوه ، فالنجاة من هذا كله غنيمة وفضل من الله يضاف الى الجزاء المزيد فيه .

إن أصحاب الجنـة هم أصحاب القلوب المفتوحة ، ما إن تتلقى حتى تستجيب ، وحتى تستيقظ فيها الحساسية الشديدة ، فتبحث أول ما تبحث عن تقصيرها وذنوبهـــا ومعصيتها ، فتتجه الى ربهـــا تطلب مغفرة الذنوب وتكفير السيئات (سبحانك فقنا عذاب النار) .

هؤلاء هم الذين يخشون ربهم ويتقونه ، ويعيشون في حـذر وخشية ، في تطلع ورجاء ، هم أصحاب النفوس الطاهرة الذين يتورعون عن مقـارفة الذنوب والفواحش

---

(1) اخرجه مسلم .

(الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) . ونظافة السلوك من كبائر الاثم ومن الفواحش أثر من آثار الايمان الصحيح . وما يبقى قلب على صفاء الايمان ونقاوته وهو يقدم على كبائر الذنوب والمعاصي ولا يتجنبها . وما يصلح قلب للجنة وقد فارقه صفاء الايمان وطَمَسَتْه المعصية وذهبت بنوره .

هذه القلوب المفتوحة قد أزالت العوائق التي تقوم بينهم وبين ربهم . أزالوا هذه العوائق الكامنة في النفس دون الوصول . وما **يقوم** بين النفس وربها إلا عوائق من نفسها . عوائق من شهواتها ونزواتها . عوائق **من** وجودها وتشبثها بذاتها . فأما حين تخلص من هذا كله فانها تجد الطريق الى **ربها مفتوحاً** وموصولاً . وحينئذ تستجيب بلا عائق .. (والذين استجابوا لربهم) تستجيب بكلياتها . ولا تقف أمام كل تكليف بعائق من هوى يمنعها .

إن أصحاب الجنة هم الذين تهتز مشاعرهم ، وتلين قلوبهم **لذكر** الله (وَبَشِّر المخبتين الذين إذا ذُكِر الله وجلت قلوبهم) ، وهؤلاء بعد تحرك **الوجل في** ضمائرهم ومشاعرهم تفيض أعينهم من الدمع (ترى أعينهم تفيض من الدمع **مما عرفوا** من الحق) ، وفاضت أعينهم من الدمع تعبيراً عن التأثر العميق العنيف بالحق **الذي سمعوه** . والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاءة من التعبير إلا الدمع الغزير . **وهي** حالة معروفة في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثر درجة أعلى من أن يفي بها القول ، فيفيض الدمع ، ليؤدي مالا يؤديه القول ، وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثر العنيف .

يقول رسول الله ﷺ : (عينان لا تمسها النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله [1]) .

ثم هم لايكتفون بهذا الفيض من الدمع ، ولا يقفون موقفاً سلبياً من الحق الذي

---

(١) أخرجه الترمذي وهو حديث حسن .

تأثروا به ، إنهم لا يقفون موقف المتأثر الذي تفيض عيناه بالدمع ثم ينتهي أمره مع هذا الحق . إنما هم يتقدمون ليتخذوا من هذا الحق موقفاً ايجابياً صريحاً ، موقف الاستماع والمعرفة ، ثم التأثر الغامر والايمان الجاهر ، ثم الاسلام ، والشهادة لهذا الدين سلوكاً وعملاً وجهاداً لاقراره في الأرض والتمكين له في حياة الناس .

هؤلاء هم القائمون بالعزائم والتكاليف ، الخائفون من اليوم العبوس ، يبتغون وجه الله وحده (إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) .

ومن هنا يبدو أثر الايمان في القلب ، من الحساسية والارهاف والتحرج ، والتطلع الى الكمال . وحساب العواقب . مهما ينهض بالواجبات والتكاليف . فهؤلاء المؤمنين يشفقون من ربهم خشية وتقوى ؛ وهم يؤمنون بآياته ولا يشركون به . وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم وهم يأتون من الطاعات ما استطاعوا ، ولكنهم بعد هذا كله : (يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) ، لإحساسهم بالتقصير في جانب الله ، بعد أن بذلوا مافي طوقهم ، وهو في نظرهم قليل .

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله (الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخـــاف الله عز وجل ؟ قال : (لا يا بنت الصديق ! ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو يخـــاف الله عز وجل [1]) .

إن قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه ، ويحسّ آلاءه في كل نَفَس وكل نبضة ، ومن ثم يستصغر كل عباداته ، ويستقل كل طاعاته ، إلى جانب آلاء الله ونعمائه . كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته ، ويرقب بكل مشاعره يد الله

(١) أخرجه الترمذي .

في كل شيء من حوله ، ومن ثم يستشعر بالهيبة ، ويشعر بالوجل ، ويشفق أن يلقى الله وهو مقصر في حقه ، لم يوفِّه حقه عبـــادة وطاعة . ولم يقارب أياديه عليه معرفة وشكرا ، وهؤلاء هم الذين يسارعون في الخيرات ، وهم الذين يسبقون لها فينالونها في الطليعة ، بهذه اليقظة وبهذا التطلع ، وبهذا العمل ، وبهذه الطاعة . لا أولئك الذين يعيشون في غمرة ويحسبون لغفلتهم أنهم مقصودون بالنعمة ، مرادون بالخير ، كالصيد الغافل يُستدرج الى مصرعه بالطعم المغري . ومثل هذا الطير في الناس كثير ، يغمرهم الرخاء ، وتشغلهم النعمة ، ويطغيهم الغنى ، ويلهيهم الغرور ، حتى يلاقوا المصير !

تلك اليقظة التي يفرضها الاسلام على قلب المسلم . والتي يستجيشها الايمان بمجرد استقراره في القلوب ، ليست أمراً فوق الطاقة ، وليست تكليفاً فوق الاستطاعة . إنما هي الحساسية الناشئة من الشعور بالله والاتصال به . ومراقبته في السر والعلن ؛ وهي في حدود الطاقة الانسانية ، حين يشرق فيها ذلك النور الوضيء (ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يُظلمون) .

ولقد شرع الله التكاليف وفق ما يعلم من استعداد النفوس ، وهو يحاسبهم وفق ما يعملونه في حدود الطاقة ، لا يظلمون بتحميلهم مالا يطيقون ، ولا يبخسهم شيئاً مما يعملون ، وكل ما يعملونه محسوب في سجل (ينطق بالحق) ويبرزه ظاهراً غير منقوص والله خير الحاسبين .

إن أصحاب الجنة هم أصحاب الشعور بخشية الله ، خشية تدفع الى كل صلاح ، وتنهى عن كل انحراف . الشعور الذي يزيح الحواجز ، ويرفع الأستار ، ويقف القلب عارياً أمام الواحد القهار . والذي يخلص العبـــادة ويخلص العمل من شوائب الرياء والشرك في كل صورة من صوره . فالذي يخشى ربه حقاً لا يملك أن يخطر في قلبه ظلاً لغيره مع خلقه . وهو يعلم أن الله يرد كل عمل ينظر فيه العبد الى غيره معه . فهو أغنى الشركاء عن الشرك فإما عمل خالص له ، وإلا لم يقبله . قال رسول الله ﷺ : قال الله

تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه[1]) .

إن أصحاب الجنة هم المتقون الخائفون . المترقبون . والله لا يجمع على نفس خوفين : خوفها منه في الدنيا ، وخوفها يوم القيامة . فمن اتقاه في العاجلة أمنه في الآجلة ، ومع الأمان في أفزع موطن يغمره بالانس والتكريم .

وقال ﷺ (قال الله عز وجل : لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمنين ، فان أمِنَني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة[2]) .

وقد وصف رسول الله ﷺ أهل الجنة وأصحابها فقال : (عُرِض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبدٌ أحسن عبادة الله ونصح لمواليه[3])

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا : بلى ، قال : كل ضعيف مُتضَعف لو أقسم على الله لأبرّه[4])

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير[5])

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ؛ والنبي وليس معه أحد ، ورفع إلي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي هذا موسى وقومه ،ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير

---

(١) رواه مسلم .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه .

(٣) أخرجه الترمذي عن ابي هريرة ، ورواه أيضا احمد في المسند والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) أخرجه مسلم .

حساب ولا عذاب) ثم نهض فدخل منزله،فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغيرحساب ولاعذاب . قال بعضهم لعلّهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ . وقال بعضهم فلعلهم الذين وُلِدُوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء .فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : (ماالذي تخوضون فيه)؟فأخبره فقال : (هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال :(أنت منهم). ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : (سبقك بها عكاشة[1]) .

وقد جعل النبي ﷺ الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلايسألون غيرهم أن يرقيهم ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والطيرة نوع من الشرك ،ويتوكلون على الله وحده لا على غيره،وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث : (الطيرة شرك) .

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري قال:قال رسول الله ﷺ(إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فيقال : ممّن هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل) .

وفي المسند عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : (يقال لصاحب القرآن اذا دخل الجنة اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه) .

عن حارثة بن وهب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يدخل الجنة الجوّاظ[2] ولا الجعظري[3] ، قال : ولا الجواظ الغليظ الفظ[4]) .

وعنه رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) الجواظ : المنوع ، وقيل السمين المختال في مشيته ، وقيل القصير البطين .

(٣) الجعظري : الفظ الغليظ .

(٤) أخرجه أبو داود واسناده صحيح .

ضعيف متضعف ، لو أقسَم على الله لأبرّه ، ألا أخبركم بأهـــل النار ؟ كل عُتل[1] جواظ مستكبر[2])

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (إن في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها) فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يارسول الله قال : (لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام[3]) .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (أنا زعيم ببيت في رَبَض[4] الجنة لمن ترك المراء[5] وإن كان محقاً ، وببيت في وَسَط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسّن خُلُقَه[6]) .

وقال ﷺ : (وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مُقسِط متصدّق موفق ، ورجل رحيم القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ..[7])

وأبواب الجنة كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي . قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : (من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب . فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهـل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحـد من ضرورة من أيها دُعي . فهل يُدعى أحد منها كلها قال : نعم وأرجو أن تكون منهم[8])

---

(١) العتل : الغليظ الجافي .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .
(٣) رواه الطبراني والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما ، ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه .
(٤) ربض المدينة : ما حولها من العمارة .
(٥) المراء : الجدال .
(٦) أخرجه ابو داود واسناده صحيح .
(٧) أخرجه مسلم .
(٨) متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تحاجّت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم[1]؟ زاد في رواية وغرّتهم[2] ـ فقال الله عز وجل للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذّب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منها ملؤها، فأمـــا النار: فلا تمتلىء حتى يضع رجله وفي رواية حتى يضع الله تبارك وتعالى رِجْلَه ـ فتقول: قطّ قطّ قطّ، فهنالك تمتلىء، ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدا، وأما الجنة فان الله ينشىء لها خلقاً[3]).

٦ ـ أحوال الناس في الجنة

يقول الله سبحانه (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون. يُطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون. وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون. لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)

إن السرور يشيع في أعطافهم وقسماتهم، فيبدو عليهم الحبور، فاذا صحاف من ذهب وأكواب يُطاف بها عليهم، واذا لهم في الجنة ما تشتهيه الأنفس. وفوق شهوة النفس التذاذ العيون، وكمالاً وجمالاً في التكريم. كما أنّ لهم الخلود: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً).

إنهم خالدون في جنات الفردوس، فهم مستقرون مستروحون ناعمون في الظلال.

---

(١) السقط في الاصل: المزدرى به.

(٢) الغر: الذي لم يجرب الامور، فهو قليل الشر منقاد، والمعنى: أن من آثر الخمول واصلاح نفسه والتزود لمعاده ونبذ أمور الدنيا، فليس غِراً فيما قصد له، ولا سقطا ولا مذموما بنوع من الذم.

(٣) متفق عليه.

(في ظلال وعيون) (أصحاب الجنة يومئذ خيرٌ مستقراً وأحسن مقيلا) . . آخذين من فضله وإنعامه جزاء ما أسلفوا في الحياة الدنيا من عبادة لله كأنهم يرونه ، ويقين منهم بأنه يراهم : (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما أتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين) ، فهنا وجوههم يبدو فيها النعيم . ويفيض منها الرضى . وجوه تنعم بما تجد ، وتحمد ماعملت فوجدت عقباً وخيراً . (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) ، وتستمتع بهذا الشعور الروحي الرفيع . شعور الرضى عن عملها حين ترى رضى الله عنها . وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته ، ثم يراها ممثلة في رضى الله الكريم . وفي النعيم . ومن ثم يقدم القرآن هذا اللون من السعادة على مافي الجنة من رخاء ومتاع ثم يصف الجنة ومناعمها المتاحة لهؤلاء السعداء . (ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . إن ربنـــا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) ، إن المشهد يتكشف عن نعيم مادي ملموس ونعيم نفسي محسوس . فهم في بعض المتاع ذي المظهر المادي الذي يلبي بعض رغائب النفوس . وبجانبه ذلك الرضى وذلك الأمن وذلك الأطمئنان فالجو كله يسر وراحة ونعيم ، (إن الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يُحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير) والذين آمنوا فهم هناك في الجنّات تجري من تحتهـــا الأنهار . وفُصلت لباسهم من الحرير فوقها حلي من الذهب واللؤلؤ . وقد هداهم الله إلى الطيب من القول . وهداهم إلى صراط الحميد ، إنها نعمة الطمأنينة واليسر والتوفيق .

وهم في هذه الجنات يأتلف شملهم مع الصالحين من أبائهم وأزواجهم وذرياتهم . وهؤلاء يدخلون الجنة بصلاحهم واستحقاقهم ولكنهم يُكرمون بتجمع شتاتهم ، وتلاقي أحبابهم ، (أولئك لهم عُقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم

وذرياتهم، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم. فنعم عقبى الدار)، وهي لذة أخرى تضاعف لذة الشعور بالجنان.

روى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم عينه) ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء)، قال: (ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين[1]).

وذكر ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يارب قد عملت لي ولهم، فيؤمر بالالحاق بهم ثم تلا ابن عباس: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) الى آخر الآية[2]).

وفي جو التجمع والتلاقي يشترك الملائكة في التأهيل والتكريم، في حركة رائحة غادية. فهو مهرجان حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والاكرام (تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً)، سلام من كل خوف، ومن كل تعب، ومن كل كدّ سلام يتلقونه من الله تحمله إليهم الملائكة. وهم يدخلون عليهم من كل باب، يبلغونهم التحية العلوية. إلى جانب ما أعد لهم من أجر كريم، فياله من تكريم، فهم مشغولون بما هم فيه من النعيم، ملتذون متفكهون. وانهم لفي ظلال مستطابة، يستروحون نسيمها، وعلى أرائك متكئين في راحة ونعيم هم وأزواجهم، (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون. هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون. سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم). لهم فيها فاكهة ولهم كل ما يشاؤون، وهم ملاك محقق لهم فيه كل ما يدعون. ولهم فوق اللذائذ التأهيل والتكريم، (سلام)،

---

(٢٤١) حادي الارواح لابن قيم الجوزية (٣٢٠).

يتلقونه من ربهم الكريم ، (سلام قولاً من ربٍّ رحيم) .

ها هم المتقون يدخلون الجنات بسلام آمنين ، فهم الذين يرقبون الله ويقون أنفسهم عذابه وأسبابه . ونزع الله مافي صدورهم من غلّ ، في مقابل الحقد الذي يغلي به صدر ابليس لغوايتهم ولا يمسهم فيها نصب ولا يخافون منها خروجا :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار . ثم يُقال، يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهـــل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة . فيقال لأهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيقول هؤلاء قد عرفناه هو الموت الذي وُكّلَ بنا فيُضجع فيذبح ذبحاً على السور . ثم يقال ياأهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لاموت[1]).

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (النوم أخو الموت وأهـل الجنة لا ينامون[2])

وعن جابر رضي الله عنه قال سئِل نبي الله ﷺ فقيل أينام أهل الجنة ؟ فقال النبي ﷺ : (النوم أخو الموت وأهل الجنة لاينامون[3])

وهذا كله جزاء ما خافوا في الأرض واتقوا فاستحقوا المقام المطمئن الآمن في جوار الكريم ، بعد أن نزع الله من صدورهم الغلّ :

(إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما في صدورهم من غلّ اخوانا على سرر متقابلين . لايمسهم فيها نصب ومـا هم منها بمخرجين) . (ونزعنا مافي صدورهم من غلّ) . فهم بشر وعاشوا بشراً . وقـد يثور بينهم في الحياة الدنيا غيظ يكظمونه ، وغل يغالبونه ويغلبونه ، ولكن تبقى في القلب منه آثار .

---

(١) رواه النسائي والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح .

(٢) رواه ابن مردويه (حادي الارواح ٢٢٠) لابن قيم الجوزية .

(٣) رواه الطبراني .

قال القرطبي في تفسيره أحكام القرآن : قال رسول الله ﷺ (الغل على أبواب الجنة كمبارك الابل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين) . وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم (ونزعنا ما في صدورهم من غل) .

واذا كان أهل النار يصطلون النار من تحتهم ومن فوقهم . فأهل الجنة تجري من تحتهم الأنهار ، فترف على الجو كله أنسام ، وإذا كان أولئك يشتغلون بالتنابز والخصام ، فهؤلاء يشتغلون بالحمد والاعتراف . وإذا كان أولئك ينادون بالتحقير والتأنيب ، فإن هؤلاء ينادون بالتأهيل والتكريم .

هؤلاء لاخوف عليهم . فالسرور يشيع في أعطافهم وقسماتهم فيبدو عليهم الحبور فاذا صحاف من ذهب وأكواب يُطاف بها عليهم ، وإذا لهم في الجنة ما تشتهيه الأنفس وفوق شهوة الأنفس التذاذ العيون ، وكمالاً وجمالاً في التكريم : (ياعبـــاد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب . وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) .

إنه مشهد وديع أليف ، رضي جميل ، إنه مشهد الجنة ، تقرب من المتقين ، حتى تتراءى لهم من قريب ، مع الترحيب والتكريم (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) . والتكريم في كل كلمة ، وفي كل حركة . فالجنة تقرب وتزلف ، فلا يكلفون مشقة السير إليها ، بل هي التي تجيء (غير بعيد) ونعيم الرضا يتلقاهم مع الجنة : (هذا ماتوعدون لكل أوّاب حفيظ . من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) فيوصفون هذه الصفة من الملأ الأعلى ، ويعلمون أنهم في ميزان الله أوّابون ، حفيظون ، يخشون الرحمن ولم يشهدوه ، فيئبون الى ربهم طائعين . ثم يؤذن لهم بالدخول بسلام لغير خروج (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) . ثم يؤذن في الملأ الأعلى ، تنويهـــاً بشأن القوم ،

واعلاناً بما لهم عند ربهم من نصيب غير محدود (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) ، فمهما اقترحوا فهم لا يبلغون ما أعدّ لهم . فالمزيد من ربهم غير محدود .

وإن عرض صورة المتقين وما أعدّ لهم من تكريم . وما هيىء لهم من نعيم رخي رغيد ، يطول عرضه ، وتكثر تفصيلاته ، وتتعدد ألوانه ، بما يستجيش الحس الى روح النعيم وبرده (إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم) ثم بعد ذلك الرضا من الله وهو أعلى وأندى من كل نعيم : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، وهذا الرضا في نفوسهم عن ربهم . الرضا عن قدره فيهم . والرضا عن انعامه عليهم . والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم . الرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله عزوجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لا نرضى يا ربنا ، وقد أعطيتنا ما لم تُعْط أحداً من خلقك ؟ فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً [1]) .

ويقول سبحانه : (وعَد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر . ذلك هو الفوز العظيم) .

إن الجنة للاقامة المطمئنة ولهم فوقها ما هو أكبر وأعظم ، وإن الجنة بكل مافيها من نعيم لتتضاءل وتتوارى في هالات ذلك الرضوان الكريم ، إن لحظة اتصال بالله . لحظة شهود لجلاله . لحظة انطلاق من حبسة هذه الأمشاج ، ومن ثقلة هذه الأرض وهمومها القريبة . لحظة تنبثق فيها في أعماق القلب البشري شعاعة من ذلك النور الذي

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

لا تدركه الأبصار . لحظة اشراق تنير فيها حنايا الروح بقبس من روح الله ، إن لحظة واحدة من هـــذه اللحظات التي تتفق للندرة القليلة من البشر في ومضة صفاء ، ليتضاءل الى جوارها كل متاع ، وكل رجاء ، فكيف برضوان من الله يغمر هذه الأرواح ، وتستشعره بدون انقطاع ؟.

يقول الامام المحاسبي[1] (.. فإن كنتَ من أهل العفو والتجاوز فتوهّم إن تفضل الله عز وجل عليك بالعفو والتجاوز يمرّك على الصراط ونورك معك يسعى بين يديك وعن يمينك مبيّض وجهك وقد فصلت من بين يدي الله عز وجل ، وأيقنتَ برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمر العابدين ووفود المتقين ، والملائكة تنـــادي سلـمٌ سلـمٌ ، والوجل مع ذلك لا يفارق قلبك ولا قلوب المؤمنين ، تنادي وينادون : (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) ، فتدبّر حين رأوا المنـافقين طُفىء نورهم وهـاج الوجل في قلوبهم فدعوا بتمام النور والمغفرة . فتوهم نفسك وقد انتهيت الى آخره فغلب على قلبك النجاة وعلا عليك الشفَق ، وقد عاينتَ نعيم الجنان وأنت على الصراط ، فحقّ قلبك على جوار الله عز وجل واشتاق الى رضا الله حتى إذا صرت الى آخره خطوت بأحد رجليك إلى العرصة التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة فوضعتها على العرصة التي بعد الصراط ، وبقيت القدم الأخرى على الصراط، والخوف والرجاء قد اعتليا في قلبك وغلبـــا عليك ، ثم ثنيت بالأخرى فجزت الصراط كله واستقرت قدماك على تلك العرصة ، وزلت عن الجسر بيدنك ، وخَلّفته وراء ظهرك، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليهـــا ، وتثب على من زلّ عنه مغتاظة تزفر عليه وتشهق اليه ، ثم التفتّ الى الجسر فنظرت اليـه باضطرابه ونظرت الى الخلائق من فوقه والى جهنم من تحته تثب وتزفر على الذين زلزلوا عن الصراط لهـا في رؤوسهم ،

---

(١) التوهم ص ٣٢ .

فطار قلبك فرحاً إذ رأيتَ عظيم ما نجاك الله منه ، فحمدتَ الله وازددت له شكراً إذ نجوت بضعفك من النار وخلّفت النار وجسرها من وراء ظهرك متوجهاً الى جوار ربك ، ثم خطوت آمناً الى باب الجنة قد امتلأ قلبك سروراً وفرحاً ، فلا تزال في بحرك بالفرح والسرور حتى توافي أبوابها ، فاذا وافيتَ بابها استقبلك بحسنه ، فنظرتَ الى حسنه ونوره وحسن صورة الجنة وجدرانهـــا ، وقلبك مستطير فرح مسرور متعلق بدخول الجنة حين وافيتَ بابها أنت وأولياء الرحمان . فتوهم نفسك في ذلك الموكب وهم أهل كرامة الله ورضوانه مبيّضة وجوههم مشرقة برضـــا الله مسرورون مستبشرون ، وقد وافيتَ باب الجنة بغبار قبرك ، وحرّ المقام ووهج تعب مامرّ بك ، فنظرت الى العين التي أعدها الله لأوليائه والى حسن مائها ، فانغمستَ فيها مسروراً لما وجدتَ من برد مائها وطيبها ، فذهب عنك بحزن المقام وطهرك من كل دنس وغبار ، فتوهم فرحة فؤادك لما باشر برد مائها بدنك بعد حرّ الصراط ووهج القيامة وأنت فرح لمعرفتك أنك إنما تغتسل لتتطهر لدخول الجنـة والخلود فيها ، ثم تخرج منها في أحسن الصور وأتمّ النور . ثم تقصد الى العين الأخرى فتتناول من بعض آنيتها ، فتوهم نظرك الى حسن الاناء والى حسن الشراب وأنت مسرور بمعرفتك أنك إنما تشرب هـذا الشراب لتطهر جوفك من كل غلّ وجسدك ناعم أبداً ، حتى إذا وضعت الاناء على فيك ثم شربته وجدتَ طعم شراب لم تذق مثله ، حتى إذا استكملت طهارة القلب والبدن واستكمل أحبـــاء الله ذلك معك ، والله مطّلع يراك ويراهم ، أمر مولاك الجواد المتحنّن خزّان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خـائفين منه مشفقين وَجِلين من عقابه إعظاماً له وإجلالاً وهيبـة له وحذراً من نقمته ، وأمرهم أن يفتحوا باب جنته لأوليائه فانحدروا من دارها وبادروا من ساحاتها وأتوا باب الجنـــة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها ، وأيقنتَ بذلك فطار قلبك سروراً وامتلأت فرحـاً وسمعتَ حسن صرير أبوابها فعلاك السرور وغلب على فؤادك ، فياسرور قلوب المفتوح لهم باب

جنة رب العالمين ، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جري مائهـــا فنفح وجهك وجميع بدنك وثارت أراييح الجنة العبقة الطيبة وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المونع وكافورها الأصفر وعنبرها الأشهب وأرياح طيب ثمارهـا وأشجارها وما فيهـــا من نسيمها ، فتداخلت تلك الأراييح في مشامّك حتى وصلت الى دماغك وصار طيبها في قلبك ، فاض من جميع جوارحك ، ونظرت بعينك الى حسن قصورها وتأسيس بنيانهـــا من طرائق الجندل الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطع منه نوره وبهاؤه وصفاؤه ، فقد أكمله الله في الصفاء والنور ومازجه نور ما في الجنان ، ونظرت الى حجب الله وفرح فؤادك لمعرفتك أنك إذا دخلتها فان لك فيها الزيادات والنظر الى وجه ربك ، فاجتمع طيب أراييح الجنة وحسن بهجة منظرها وطيب نسيمها وبرد جوّها . .

فتوهم نفسك إن تفضّل الله عليك بهذه الهيئة فلو متّ فرحاً لكان ذلك يحق لك حتى إذا فتحوا بابها أقبلوا عليك ضاحكين في وجهك ووجوه أوليـــاء الله معك ، ونادوكم سلام عليكم ، ثم أتبعوا السلام بقولهم : طبتم فادخلوهـا خالدين ، فلما سمعتَ الإذن وأولياء الله معك بادرتم الباب بالدخول فكظت الأبواب من الزحام ، فما ظنك بباب مسيرة أربعين عاماً كظيظه من زحام أولياء الرحمان فأكرم بهم من مزدحمين مبادرين الى ما قد عاينوا من حسن القصور من الياقوت والدر . فتوهم نفسك ان عفا الله عنك في تلك الزحمة مبادراً مع مبادرين مسروراً مع مسرورين بأبدان قد طهرت ووجوه قد أشرقت وأنارت فهي كالبدر ، فلما جاوزتَ بابها وضعت قدميك على تربتها وهي مسك أذفر ونبت الزعفران المونع والمسك مصبوب على أرض من فضة والزعفران نابت حولها فذلك أول خطوة خطوتهـــا في أرض البقاء بالأمن من العذاب والموت ، فأنت تتخطى في ترب المسك ورياض الزعفران ، وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة تصويرهـا ، فبينا أنت تتخطى في عرصات الجنان في رياض

الزعفران و كثبان المسك إذ نودي في أزواجك وولدانك وخدامك وغلمانك ' إن فلاناً قد أقبل فأجابوا واستبشروا لقدومك كما يبشر أهل الغائب في الدنيا بقدومه ..) .

٧ ــ رؤية الله عز وجل :

إنه الغاية القصوى في نعيم الآخرة[1]، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، يقول الله سبحانه : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة . وجوه يومئذ ناضره إلى ربها ناظرة) .

إن هذا النص ليشير إشارة سريعة إلى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها، كما يعجز الادراك عن تصورها بكل حقيقتها . ذلك حين يعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبهها حالة . حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل مافيها من ألوان النعيم .

هذه الوجوه الناضرة ، نضرها انها إلى ربها ناظرة ، إلى ربها ، فأي مستوى من الرفعة هذا ؟ أي مستوى من السعادة ؟ . إن روح الانسان لتستمتع أحياناً بلمحة من جمال الابداع الالهي في الكون أو النفس ، تراها في الليلة القمراء . أو الليل الساجي.

---

(١) ان رؤية الله سبحانه هي الغاية القصوى في الدار الآخرة . عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنَّى أراه أخرجه مسلم .

ومن مسروق بن الاجدع رحمه الله قال : قلت لعائشة : « يا أمتاه ، هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قَفَّ شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكن فقد كذب ، من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت « لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير » « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا » ومن حدثك انه يعلم مافي غد فقد كذب ، ثم قرأت « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين » . وفي رواية قال : قلت لعائشة : فأين قوله تعالى : « ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى » قالت : ذاك جبريل عليه السلام ، كان يأتيه في صورة الرجل وأنه هذه المرة في صورته ، فسدَّ الافق » . وفي أخرى « ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب ، وهو يقول « لا يعلم الغيب الا الله » رواه البخاري ومسلم . (قف شعري) : قف الشعر : اذا قام في منابته . الفرية : اختلاق الكذب .

أو الفجر الوليد . أو الظل المديد أو البحر العباب . أو الصحراء المنسابة . أو الروض البهيج أو الطلعة البهية . أو القلب النبيل . أو الايمان الواثق . أو الصبر الجميل . الى آخر مطالع الجمال في هذا الوجود ، فتغمرها النشوة وتفيض بالسعادة ، وترف بأجنحة من نور في عوالم مُجنَّحة طليقة . وتتوارى عنها أشواك الحياة ، ومافيها من ألم وقبح ، وثقلة طين وعرامة لحم ودم ، وصراع شهوات وأهواء .

فكيف ؟ كيف وهي تنظر — لا إلى جمال صنع الله — ولكن إلى جمال ذات الله ؟ ألا إنه مقام يحتاج أولاً إلى مَدَد من الله . ويحتاج ثانياً إلى تثبيت من الله ليملك الانسان نفسه ، ويستمتع بالسعادة التي لايحيط بها وصف ،ولا تتصور حقيقتها إدراك .

(وجوه يومئذ ناضرة) ، ومالها لا تتنضّر ، وهي إلى جمال ربها تنظر ؟ إن الانسان لينظر إلى شيء من صنع الله في الأرض ، من طلعة بهية ، أو زهرة ندية ، أو جناح رفاف ، أو روح نبيل ، أو فعل جميل . فاذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه ، فيبدو فيها الوضاءة والنضارة . فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكون . مطلقاً من كل مافي الوجود من شواغل عن السعادة بالجمال ؟ فما تبلغ الكينونة الانسانية ذلك المقام ، إلا وقد خلصت من كل شائبة تصدها عن بلوغ ذلك المرتقى الذي يعز عليه الخيال ! وكل شائبة لا فيما حولها فقط ، ولكن فيها هي ذاتها من دواعي النقص والحاجة إلى شيء ماسوى النظر إلى الله .

فأما كيف تنظر ؟ وبأي جارحة تنظر ؟ وبأي وسيلة تنظر ؟ فذلك حديث لايخطر على قلب يمسه طائف من الفرح الذي يطلقه النص القرآني ، في القلب المؤمن ، والسعادة التي يفيضها على الروح ، والتشوف والتطلع والانطلاق !

فما بال أناس يحرمون أرواحهم أن تعانق هذا النور الفائض بالفرح والسعادة؟ ويشغلونها بالجدل !! إن إرتقاء الكينونة الانسانية وانطلاقها من قيود هذه الكينونة الأرضية المحدودة ، هو فقط محط الرجاء في التقائها بالحقيقة الطليقة يومذاك . وقبل هذا الانطلاق

سيعز عليها أن تتصور – مجرد تصور – كيف يكون ذلك اللقاء .

فلنتطلع إلى فيض السعادة الغامر ، وفيض الفرح المقدس الطهـــور ، ولنشغل أرواحنا بالتطلع إلى هـــذا الفيض ، فهذا التطلع ذاته نعمة لا تفوقها إلا نعمة النظر إلى وجهه الكريم .

فما بال أُناس قد حجبت قلوبهم المعاصي والآثام حجبتها عن الاحساس بربها في الدنيا. وطمستها حتى اظلمت وعميت في الحياة ، (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) .

فالنهاية الطبيعية والجزاء الوفاق في الآخرة أن يحرموا النظر إلى وجهه الكريم، وأن يُحال بينهم وبين هذه السعادة الكبرى، التي لا تُتاح إلا لمن تَشفتْ روحه ورقت وصفت واستحقت أن تكشف الحجب بينها وبين ربها . ممن قال فيهم : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وهذا الحجاب عن ربهم ، عذاب فوق كل عذاب ، وحرمان فوق كل حرمان ونهاية بائسة لانسان يستمد انسانيته من مصدر واحد هو اتصاله بروح ربه الكريم . فاذا حُجب عن هذا المصدر فَقَد خصائصه كانسان كريم ، وارتكس إلى درجة يستحق معها الجحيم (ثم إنهم لصالوا الجحيم) ومع الجحيم التأنيب وهو أمرٌ من الجحيم ، (ثم يُقال هذا الذي كنتم به تكذبون) .

ثم هي الوجوه الكالحة المتقبضة التعيسة ، المحجوبة عن النظر والتطلع ، بخطاياها وارتكاسها و كثافتها وانطماسها (ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يُفعل بها فاقرة) ، وهي التي يشغلها ويحزنها ويخلع عليها البسر والكلاحة توقعها أن تحل بها الكارثة القاصمة للظن ، المحطمة للفقار . الفاقرة . وهي من التوقـــع والتوجس في كرب وكلوحة وتقبض وتنغيص . .

فهذه هي الآخرة التي يذرونها ويهملونها، ويتجهون إلى العاجلة يحبونها ويحفلونها. ووراء هذا اليوم الذي تختلف فيه المصائر والجدود ، هذا الاختلاف الشاسع البعيد من وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة إلى وجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة !

إن رؤية الله سبحانه هي أعلى مرتبـــة في نعيم الآخرة وقد بَشّر بذلك الرسول ﷺ :

عن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا دَخَل أهلُ الجنة الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدُكم ؟ فيقولون : ألَم تُبَيِّض وجوهنا؟ ألَم تُدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى) زاد في رواية (ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة[1])

قال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي أنبأنا أبو تميمة قال: سمعتُ أبا موسى الأشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول : إن الله يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة فيقول : ياأهل الجنة هل أنجزكم الله ماوعدكم فينظرون فيرون الحلي والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون : نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا . ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ماوعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيئا مما وُعِدوا . فيقولون: نعم. فيقول: قد بقي لكم شيء إن الله عز وجل يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى[2] .

وعن عكرمة قال : قيل لابن عباس كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل ؟ قال نعم[3] .

وعن عمارة بن عبيد قال سمعتُ علياً يقول : (من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته [4]) .

إن رؤية الله تبارك وتعالى هي الغاية التي شمّر اليها المشمرون ، وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق اليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون . إذا ناله أهل الجنة

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي .

(٢) حادي الارواح الى بلاد الافراح لابن قيم الجوزيه ص ٢٣٣ .

(٣ – ٤) حادي الأرواح الى بلاد الافراح لابن قيم الجوزية ص ٢٦٨ .

نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشـــد عليهم من عذاب الجحيم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً سألوا النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : (هل تضارُّون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا: لا يا رسول الله . قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال رسول الله ﷺ : فإنكم ترونه كذلك[1]) .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة البدر ،وقال: (إنكم سترون ربكم عياناً ، كما ترون هذا القمر لا تضامُّون[2] في رؤيتـه ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا ، ثم قرأ : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب[3]) .

إن هذه الرؤية العظيمة كانت دعاءً للرسول ﷺ وصحابته فكان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء : (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمتَ الحيـاة خيراً لي ، وتوفني إذا علمتَ الوفاة خيراً لي ، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضـا ، والقصد في الفقر والغنى ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولافتنة مضلة ، اللهم زيِّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين[4]) .

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ علّمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال : (قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك

---

(١) أخرجه ابو داود وهو حديث صحيح .

(٢) لا تضامونه : المعنى : انكم ترونه جميعكم لا يظلم بعضكم في رؤيته أو لا يزدحم بكم في رؤيته.

(٣) أخرجه البخاري مسلم والترمذي .

(٤) أخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما .

واليك ، اللهم وما قلتُ من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيتك بين يديه ، ما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير ، اللهـــم وما صليتُ من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت ، أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ، أسألك اللهـــم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أُظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة محيطة أو ذنبـــاً لا تغفره ، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فإني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيا وأشهد وكفى بك شهيدا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك . لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقـــاءك حق ، والجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور ، أشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعَورة وذنب وخطيئة ، وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم[1]) .

إن أهل الجنة حين يرون ربهم عز وجل ينسون ما هم فيه من النعيم ، فهو فيض ونعمة تغمر كل شيء : فعن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أتاني جبريل وفي كفه كالمرآة البيضاء يحمل فيها كالنكتة السوداء فقلت ما هذه التي في يدك يا جبريل ؟ فقال : هذه الجمعة ، قلت وما الجمعة ، قال لكم فيها خير كثير ، قلت وما يكون لنا فيها ؟ قال : يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك ، قلت : ومالنا فيها ؟ قال : لكم فيها ساعة لا يسأل اللهَ عبدٌ فيها

---

(١) رواه ابو داود في سننه .

شيئاً هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له بقسم إلا ذخر له في آخرته ما هو أعظم منه، قلت ما هذه النكتة التي هي فيها ؟ قال : هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد . قلتُ وما ذاك يا جبريل ؛ قال : إن ربك اتخذ في الجنة وادياً فيه كثبان من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجوهر ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممتُ عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي ، فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وغرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها فليسوا بشيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا منه نظراً الى ربهم ويزدادوا منه كرامة[1] .

يقول الامام المحاسبي (.. فلما أكلوا وشربوا ، شخصت أبصارهم وتعلقت قلوبهم ، ثم رفع الحجب ؛ فبينما هم في ذلك إذ رفعت الحجب فبدا لهم ربهم بكماله ، فلما نظروا إليه وإلى مالم يحسنوا أن يتوهموه ولا يحسنون ذلك أبداً لأنه القديم الذي لايشبه شيء من خلقه ،فلما نظروا إليه ناداهم حبيبهم بالترحيب فيهم وقال لهم : مرحباً

---

(١) حادي الارواح الى بلاد الافراح لابن قيم الجوزية ص ٢٥٢ ، يقول ابن قيم الجوزية « هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول » (وجمثل به الشافعي مسنده) فرواه عن ابراهيم بن محمد وذكر نحو الحديث ثم قال الشافعي أنبأنا ابراهيم قال حدثني ابو عمران ابراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فيه اشياء ورواه محمد ابن اسحاق) عن أنس وقال فيه « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا الى وجهه الكريم » . وقد رواه عديد من الائمة . وقد جمع ابن أبي دؤاد طرقه .

بعبادي ، فلما سمعوا كلام الله بجلاله وحسنه غلب على قلوبهم من الفرح والسرور مالم يجدوا مثله في الدنيا ولا في الجنة ، لأنهم يسمعون كلام من لا يشبه شيئاً من الأشياء . فتوهمهم ، وقد أطرقوا وأصغوا بمسامعهم لاستماع كلامه ، وقد علا وجوههم نور السرور لكلام حبيبهم وقرير أعينهم ،فلو توهمت نفسك وقد سمعت قول الله لأوليائه مرحباً بهم ثم طار روحك فرحاً به وحباً له لكان ذلك منه حقيراً وصغيرا عندما توهمته من نفسك عند استماع كلامه ، فحياهم بالسلام فردوا عليه أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والاكرام .

فمرحباً بعبادي وزواري وخيرتي من خلقي الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي وخافوني في الغيب وقاموا مني على كل حال مشفقين ، وقد رأيت الجهد منهم في أبدانهم أثرة لرضاي عنهم ،وقد رأيت ما صنع بكم أهل زمانكم فلم يمنعكم جفاء الناس عن حقي تمنوا علي ماشئتم فلو رأيتهم وقد سمعوا ذلك من حبيبهم يذكرهم ما كانوا عليه في دنياهم من رعاية عهده وحفظه ودوام خوفهم منه وقد استطاروا فرحاً لما شكر لهم رعايتهم حقه ، وحفظ منهم خوفهم ، ورحب بهم محبة لهم ، إذ كانوا بذلك إياه في الدنيا يعبدونه ؛ استطارت قلوبهم فرحاً وسروراً إذ لم يفرطوا في طاعته ولم يقصروا في مخافته ، فاغتبطوا لما كانوا به لله في الدنيا يدينون من شدة خوفهم ورعاية حقه وحفظه ،فردوا إليه الجواب مع سرور قلوبهم بالقسم لعظمته وجلاله ، أنهم قد قصدوا عما كان يحق له عليهم اعظاماً له واستكثارا، إذ أثابهم جنته وأكرمهم بزيارته وقربه واستماع كلامه ،فقالوا عند ذلك : وعزتك وجلالك وعظمتك وارتفاع مكانك ماقدرناك حق قدرك ، ولا أدينا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود فقال لهم ربهم : إني قد وضعت عنكم مؤونة العبادة وأرحت لكم أبدانكم فطالما أتعبتم الأبدان وأكنتم لي الوجوه ، فالآن أفضتم إلى كرامتي ورحمتي فتمنوا علي ماشئتم—وفي بعض الحديث أنهم اذا نظروا إليه خروا فيناديهم بكلامه تبارك وتعالى: ارفعوا رؤوسكم ، ليس هذا حين عمل ، هذا حين سرور ونظر —

فتوهم بعقلك نور وجوههم ومايداخلهم من السرور والفرح حين عاينوا مليكهم ،وسمعوا

كلام حبيبهم ، وأنيس قلوبهم ، وقرة أعينهم ، ورضا أفئدتهـــم ، وسكن أنفسهم ، فرفعوا رؤوسهم من سجودهم ، فنظروا إلى من لايشبهه شيء بأبصارهم ، فبلغوا بذلك غاية الكرامة ومنتهى الرضا والرفعة . فما ظنك بنظرهم إلى العزيز الجليل الذي لايقع عليه الأوهام ، ولايحيط به الأذهان ، ولا تكيفه الفكر ، ولا تحده الفطن ، الأزلي القديم الذي حارت العقول عن إدراكه . فكلّت الألسنة عن تمثيله بصفاته ، فهو المنفرد بذاته عن شبه الذوات ، المتعالي بجلاله على مساواة المخلوقين ، فسبحانه لاشيء يعادله ، ولاشريك يشاركه ، ولاشيء يريـــده فيستصعب عليه أو يعجزه إنشاؤه ، استسلم لعظمته الجبارون ، وذلّ لقضائه الأولون والآخرون ، نفذ في الأشياء علمه بما كان وبما لا يكون ، وبما لو كان كيف كان يكون ، فأحاط بالأشياء علماً ، وسمع أصواتها سمعاً ...

فلما سرّ أولياء الله برؤيته وأكرمهم بقربه ونعّم قلوبهم بمناجاته ، واستماع كلامه ، أذنَ لهم بالانصراف إلى ما أعدّ لهم من كرامته ونعيمهم ولذاتهم ، فانصرفوا على خيل الدرّ والياقوت على الأسرّة فوقها الحجال ترف وتطير في رياض الجنان .

فما ظنك بوجوه نظرت إلى الله عز وجل وسمعت كلامه كيف ضاعف حسنها وجمالها ، وزاد ذلك في إشراقها ونورها .. فلو رأيت وجوههم وقـــد أشرقت بسرور كلام مولاهم .. فأعظم به من مجلس وأعظم به من جمع .. فكن إلى ربك مشتاقاً وإليه متحبباً .. وبالله التوفيق وإليـــه المصير ، والجنة مثوى المؤمنين وثواب المتقين وسرور المحزونين ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم [1]) .

* * *

(١) التوهم ص ٦٣ .